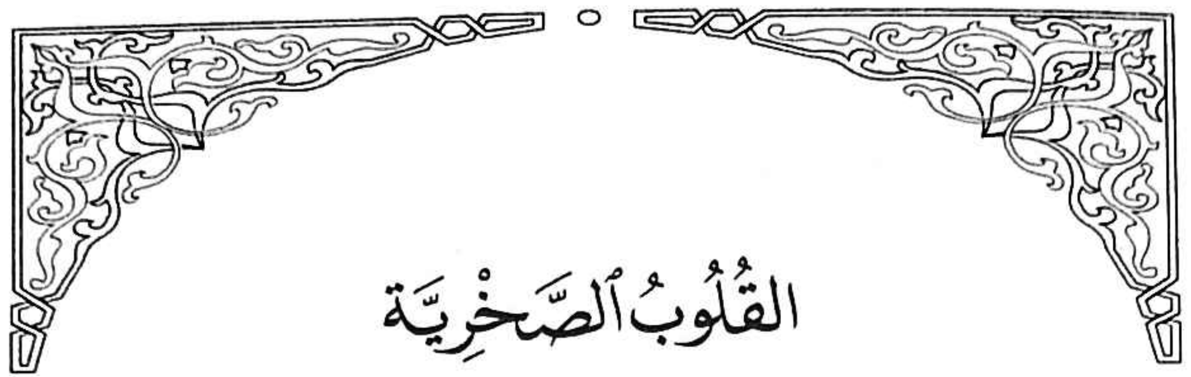


القُلُوبُ ٱلصَّخْرِيَّة

الحديث عن قسوة القلب حديث ذو شجون، ومن رزايا هذا الزمن أن صرنا لا نستحي من المناصحة عن قسوة القلب بينما قلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة.. لكن دعنا يا أخي نناجي بعضنا كالمحبوسين يتشاجى بعضهم لبعض كيف يهربون من معتقلات خطاياهم.

لقد قرأت كثيراً كثيراً في كتب الرقائق والإيمانيات والمواعظ، وجربت كثيراً من الوسائل التي ذكروها، وأصدقك القول أنني رأيتها محدودة الجدوى، لا أنكر أن فيها فائدة، لكن ليست الفائدة الفعلية التي كنت أتوقعها، ووجدت العلاج الحقيقي الفعال الناجع المذهل في دواء واحد فقط، دواء واحد لا غير، وكلما استعملته رأيت الشفاء في نفسي، وكلما ابتعدت عنه عادت لي أسقامي، هذا العلاج هو بكل اختصار: «**تدبّر القرآن**».

دع عنك كلما يذكره صيادلة الإيمان، ودع عنك كل

عقاقير الرقائق التي يصفونها، واستعمل: **تدبر القرآن**، وسترى في نفسك وإيمانك وقوتك على الطاعات ونفورك من المعاصي وراحة نفسك في صراعات المناهج شيئاً لا ينقضي منه العجب.

كل تقصير يقع فيه الإنسان، سواء كان تقصيراً علمياً بالتأويل والتحريف للشريعة، أو كان تقصيراً سلوكياً بالرضوخ لدواعي الشهوة، فإنه فرع عن قسوة القلب.

وهل تعلم كيف تحدث قسوة القلب؟

قسوة القلب ناشئة عن البعد عن الوحي، ألا ترى الله تعالى يقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

أرأيت يا أخي؟ إنه طول الأمد..!!

لما طال بهم الأمد قست قلوبهم، ولو جددوا العهد مع الوحي لحيت قلوبهم، فإذا قسا القلب تجرأ الإنسان على الميل بالشريعة مع هواه، وإذا قسا القلب تهاون الإنسان في الطاعات واستثقلها، وإذا قسا القلب عظمت الدنيا في عين المرء فأقبل عليها وأهمل حمل رسالة

الإسلام للناس، وإذا قسا القلب ضعفت الغيرة والحمية لدين الله!!

وما العلاج إذاً؟

العلاج لما يحيك في هذه الصدور هو: **مداواتها بتدبر القرآن**، بالله عليك تأمل في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، هكذا تقدم الآية المعنى بكل وضوح ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾، ولكن ما الذي في الصدور؟!

في الصدور شهوات تتشوف، وفي الصدور شبهات تنبح، وفي الصدور حجبٌ غليظة، وفي الصدور طبقات مطمورة من الرين ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤]، وهذه الدوامات التي في الصدور دواؤها كما قال الله: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، فإذا شفيت الصدور وجدت خفة نفس في الطاعات، وإذا شفيت الصدور انقادت للنصوص بكل سلاسة ونفرت من التأويل والتحريف، وإذا شفيت الصدور تعلقت بالآخرة واستهانت بحطام الدنيا، وإذا شفيت الصدور امتلأت

بحمل هم إظهار الهدى ودين الحق على الدين كله.

وأعجب من ذلك أنه إذا شفيت الصدور استقزمت الأهداف الصغيرة، تلك الأهداف التي تستعظمها النفوس الوضيعة، الولع بالشهرة، وحب الظهور، وشغف الرياسة والجاه في عيون الناس، وشهوة غلبة الأقران، النفوس التي شفاها هذا القرآن، ترى كل ذلك حطام إعلامي ظاهره لذيذ فإذا جرب الإنسان بعضه اكتشف تفاهته، وأنه لا يستحق لحظة من العناء فضلاً عن اللهاث سنوات، فضلاً عن تقبل أن يقوم المرء بتحريف الوحي ليقال: فلان الوسطي الراقي الوطني التنموي الحضاري النهضوي التقدمي، إلى غير ذلك من عصائب الأهواء التي تعشي العيون عن رؤية الحقائق.

وهل يمكن أن يكون تحريف معاني الشريعة لا صلة له بقسوة القلب؟! أفلا تقرأ معي يا أخي قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

على أية حال.. دعنا نُعِد قراءة آية الشفاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧]، يا ألله!! هل

قال الله: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾؟ نعم إنه شفاء لما في الصدور، هكذا بكل وضوح، هذا القرآن يا أخي له سحر عجيب في إحياء القلب وتحريك النفوس وعمارتها بالشوق لباريها جلَّ وعلا، وسر ذلك أن هذا القرآن له سطوة خفية مذهلة في صناعة الإخبات والخضوع في النفس البشرية كما يقول الله تعالى: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الحج: ٥٤]، فإذا أخبتت النفوس، وانفعلت بالتأثر الإيماني، انحلت قيود الجوارح، ولهج اللسان بالذكر، وخفقت الأطراف بالركوع والسجود والسعي لدين الله، كما يصور الحق تبارك وتعالى ذلك بقوله: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٢٣]، لاحظ كيف تقشعر، ثم تلين، إنها الرهبة التي تليها الاستجابة، وتلك هي هيبة القرآن.

❊ ❊ ❊